

الانتفاضة، أميركا، إسرائيل والعرب

نعوم تشومسكي

ما مدى خطورة الأزمة في الشرق الأوسط؟ هناك مبعوث خاص للأمم المتحدة، النرويجي رويد- لارسن، وقبل يومين حذر مما يؤدي إليه الحصار الإسرائيلي للمناطق الفلسطينية من معاناة هائلة للفلسطينيين، ومن تسارع في إشعال فتيل حرب إقليمية. لاحظوا أن لارسن أشار إلى الحصار، ولم يشر إلى القتل، والفظائع الأخرى. وهو محق في هذا. فالحصار هو التكتيك الحاسم. يمكن وجود حصار بالغ الفعالية بفضل ما وصلت إليه عملية السلام» المزعومة بتوجيه من الولايات المتحدة. معنى هذا الكلام وجود مئات من الجيوب الفلسطينية المعزولة، وبعضها شديد الضالة إلى حد يمكن إغلاقه بالكامل، وخنقه من جانب قوات الاحتلال الإسرائيلي. هذه هي البنية الأساسية لما ندعوه هنا [في الولايات المتحدة] عملية السلام. لذلك، يمكن خلق حصار شديد الفعالية إلى حد بعيد. فالحصار تكتيك مُقنع للولايات المتحدة وإسرائيل، وهما دائما معا.

تذكروا أن كل ما تفعله إسرائيل، تفعله بموافقة من الولايات المتحدة، التي تقدم المساعدة المالية والدعم، إلى جانب الموافقة، في العادة. الحصار تكتيك لإخفاء الصورة البشعة للأعمال الوحشية، كي لا تصبح سافرة أكثر مما يجب. سافرة، إلى حد يرغم واشنطن أو الغرب (وهذا يعني واشنطن من حيث الجوهر) على القيام بفعل ما.

وقعت أخطاء في الماضي، ولا شك أن إسرائيل والولايات المتحدة تعلمت الدرس. ففي العام ١٩٩٦، مثلا، شن شيمون بيريس هجمة جديدة على لبنان، متسببا في مقتل أعداد

كبيرة من الناس ، وفي نزوح مئات وآلاف من بيوتهم . حتى هذا الحد كانت الهجمة مقبولة ، وكانت واشنطن تستطيع تأييدها ، وقد أيدها كلينتون ، في الواقع ، حتى وقع خطأ واحد ، عندما قصف الإسرائيليون مخيما للأمم المتحدة ، وقتلوا ما يزيد عن مائة شخص ، كانوا لاجئين في المخيم . برر كلينتون في البداية العملية ، لكن ردة الفعل العالمية أرغمته على التراجع ، واضطرت إسرائيل بدورها ، بأمر من الولايات المتحدة ، لوقف العملية والانسحاب .

حدث الشيء نفسه مؤخرًا في تيمور الشرقية ، في العام الماضي ، في أيلول (سبتمبر) الماضي ، عندما بلغت المذابح المدعومة من الولايات المتحدة ، والمستمرة منذ ٢٥ عامًا ، بلا ضوضاء ، حدا تجاوز المعقول ، فوجد كلينتون نفسه مضطرا ، بعد خراب البلاد من ناحية فعلية ، ليقول للجنرالات الإندونيسيين إن اللعبة قد انتهت ، فانسحبوا على الفور .

وفي الحالة التي نتكلم عنها [فلسطين] ثمة جهد واضح للحفاظ على عمليات القتل ، التي تحتل الصفحات الأولى في الجرائد ، بمعدل يساوي ، تقريبا ، عمليات القتل في كوسوفو ، قبل قيام الناتو بشن غاراته . وهذا في الواقع معدل عمليات القتل في الوقت الحاضر ، والهدف إخراج الوضع من بؤرة الاهتمام . يمكننا القول ، طبعًا ، إن قصة كوسوفو مختلفة تماما . في ذلك الوقت ، كانت ضرورات الدعاية نقيض ما هي اليوم . كانت عمليات القتل تجري في ظل ظروف مشابهة إلى حد ما ، وكانت ردة الفعل الصربية قريبة من ردة الفعل الإسرائيلية في المناطق المحتلة (في كوسوفو ، وقعت هجمات من خارج الحدود في الواقع ، وهذا يشبه قيام حزب الله بشن هجمات في الجليل ، أو القيام بأعمال مشابهة) . وبما أن ضرورات الدعاية كانت مختلفة ، آنذاك ، جرى وصف عمليات القتل ، بحماسة بالغة ، كنوع من الإبادة الجماعية . يستطيع نظام جيد للدعاية خلق تمييز بين عمليات القتل . في كوسوفو كانت إبادة جماعية ، وفي هذه الحالة [فلسطين] هي أعمال انتقامية ، وقليلة الأهمية .

الفكرة العامة ، وأعتقد أنكم تتوقعون استمرار هذا الوضع لفترة طويلة من الوقت ، هي حصر التكتيكات في : الاغتيال ، جرح العديد والعديد من الناس (جراح بالغة ، العديد منهم سيموت في وقت لاحق ، لكن هذا لا يدخل في الوعي) التجويع (هناك ٦٠٠ ألف شخص يجابهون المجاعة ، حسب تقديرات الأمم المتحدة ، لكن هذا دون الحد المحرج) حظر التجوّل (لمدة ٢٤ ساعة ، كما في الخليل ، وعلى مدار أسابيع ، في حين يتبختر بضعة مئات من المستوطنين الإسرائيليين بحرية وخيلاء ، أما بقية السكان ، عشرات الآلاف من الناس ، فمحكوم عليهم بالبقاء في بيوتهم ، ولا يسمح لهم بالخروج إلا لساعتين في الأسبوع) . يستهدف هذا العزل لمئات من الجيوب ، وما شابه ، إبقاء المعاناة دون حد قد يتسبب في انتزاع ردة فعل غربية . على فرض ، وهذا فرض معقول ، أن ثمة حد لما يستطيع الناس تحمله ، لذا ، سيضطرون للاستسلام في نهاية الأمر .

ومع ذلك ، ثمة مشكلة في العالم العربي ، الذي يبدي حساسية أكبر تجاه تلك الأعمال الوحشية الكبيرة ، فقد ينفجر العالم العربي ، وهذا ما يحذر منه رويد - لارسن . الحكومات في العالم العربي على درجة كبيرة من الهشاشة ، خاصة في المنطقة الحاسمة الغنية بالنفط . وقد تتسبب قلاقل شعبية في تهديد الحكم الهش للتابعين من الحكام للولايات المتحدة ، وهذا ما لا ترغب أميركا بقبوله . وربما تدفع تلك الأحداث التابعين - هذا غير مقبول ، أيضا - إلى تحسين علاقات (خاصة مع إيران ، وهذا ما يفعلونه في الوقت الحاضر) تزعزع إطار الهيمنة الأميركية على خزان الطاقة الرئيسي في العالم .

في العام ١٩٩٤ ، وصف انطوني ليك ، مستشار كليتون للأمن القومي ، مادعاها بنموذج ما بعد الحرب الباردة ، يعني هذا النموذج بالنسبة للشرق الأوسط ، ما يدعى «بالاحتواء المزدوج» ، الذي يشمل العراق وإيران ، لكن الاحتواء المزدوج يعتمد بشكل حاسم ، كما أشار ، على عملية أوسلو ، العملية التي تحققت قدرا من السلام النسبي بين العرب وإسرائيل . وما لم يتم إبرام العملية ، لا يمكن تثبيت الاحتواء المزدوج ، وهذا يعني تعريض السياسة الأميركية الحالية للسيطرة على المنطقة إلى مخاطر كبيرة . وقد حدث هذا الأمر في الواقع .

قبل عامين ، في ديسمبر ١٩٩٨ ، قصفت الولايات المتحدة وبريطانيا العراق ، بطريقة تتسم بازدراء واضح ومباشر للرأي العام العالمي ، بما في ذلك مجلس الأمن . تذكروا ، أن القصف جرى توقيته في لحظة عقد فيها مجلس الأمن جلسة طارئة لتدارس مشاكل التفتيش في العراق . وما أن بدأت الجلسة حتى علم المشاركون أن الولايات المتحدة وبريطانيا ، أجهضت جلستهم ، بضررها للعراق . أدى هذا العمل ، وأعمال أخرى سبقته إلى ردة فعل سلبية جدا في العالم العربي ، وفي كل مكان آخر ، وأسفر عن خطوات ملموسة من جانب السعودية ، ومن جانب آخرين أيضا ، للتكيف مع إيران ، وأظهر بدرجة معينة قبولاً بالموقف الإيراني الذي كان متداولاً لفترة من الوقت . فحوى الموقف الإيراني ضرورة وجود تحالف استراتيجي في المنطقة بمعزل عن القوى الغربية (أي الولايات المتحدة في المقام الأول) . وهذا ما لا يمكن للولايات المتحدة القبول به ، وقد يؤدي إلى عواقب وخيمة .

علاوة على ذلك ، وقبل هذا كله ، تقوم بلدان في المنطقة ، سوريا وإيران بشكل خاص ، باختبار أنظمة صواريخ يمكنها الوصول إلى إسرائيل . الولايات المتحدة وإسرائيل ، لا تشتغلان بموضوع الصواريخ وحسب ، بل وأنظمة الصواريخ المضادة للصواريخ ، أيضا ، مثل نظام آرو المضاد للصواريخ . عندما يصل التسليح إلى هذا المستوى ، قد يؤدي التوتر ، بسهولة ، وبطريقة غير متوقعة ، إلى حرب بأسلحة متقدمة ، ربما تخرج بسرعة عن نطاق السيطرة .

ولكن ، ما مدى خطورة هذا الوضع ؟

فلنتجه نحو خبير آخر ، كتب الجنرال لي بتلر قبل سنتين - تقاعد مؤخرا ، وكان على رأس

القيادة الاستراتيجية STRATCOM في أعلى وكالة نووية في عهد كليتون - الوضع خطير إلى أقصى حد، ففي مرجل الحقد، الذي نسميه الشرق الأوسط، يبدو أن هناك دولة سلحت نفسها بمخزون من الأسلحة النووية، يعد بالمئات، وهذا يحدث دولاً أخرى لتسليح نفسها بأسلحة نووية، وعلى تطوير أنواع أخرى من أسلحة الدمار الشامل على سبيل الردع، هذا الوضع سريع الاشتعال، وقد يؤدي إلى نتائج بالغة الخطورة. وهذا كله أكثر خطورة، عندما تكون راعية تلك الدولة، دولة يراها العالم، عموماً، شريرة، تفقد زمام السيطرة، يصعب التنبؤ بأفعالها، غير عقلانية وحقودة، وتصر على تصوير نفسها بهذه الطريقة.

والواقع، نصحت القيادة الاستراتيجية على أعلى المستويات، في عهد كليتون، بالحفاظ على قناع قومي، كما يدعونه، تبدو فيه الولايات المتحدة غير عقلانية وحقودة، وفاقدة لزام السيطرة، لتخويف بقية العالم، وبقيّة العالم خائف، فعلاً. كما نصحوا بضرورة اعتماد الولايات المتحدة على الأسلحة النووية باعتبارها حجر الأساس في استراتيجيتها، بما في ذلك حق الضربة الأولى، ضد دول غير نووية، وضمنها تلك الدول التي وقّعت معاهدة الحد من الأسلحة النووية. تمت صياغة هذه المقترحات في أوامر رئاسية، أوامر حقبة كليتون الرئاسية، التي لا تثير الكثير من الضجيج هنا [يقصد في الولايات المتحدة] لكنها مفهومة في العالم، الذي من الطبيعي أن يجد نفسه مكرها على تطوير أسلحة للدمار الشامل كنوع من الدفاع الذاتي. لكن هذه الاحتمالات معروفة لدى الاستخبارات الأميركية، ولدى كبار المحللين في الولايات المتحدة.

قبل حوالي عامين، كتب صامويل هنتنغتون، الأستاذ في هارفارد، مقالة في مجلة محترمة جداً الشؤون الخارجية» أشار فيها أن معظم [دول] العالم تعتبر الولايات المتحدة دولة شريرة خطيرة، تمثل التهديد الرئيسي لوجودها القومي. ليس في هذا ما يدعو للدهشة، إذا نظرت إلى ما يجري في العالم، بمنظار غير منظار نظام غسل الدماغ الأميركي. الخطر الأميركي معقول جداً، تؤيده حتى الوثائق، وتؤيده الأفعال بالتأكيد. معظم دول العالم ترى بهذه الطريقة، وهذا بدوره يسهم في زيادة خطورة الوضع.

خلفيات القرار ٣٤٢

ولعل التاريخ القريب في الشرق الأوسط يزودنا بأمثلة قليلة من العبر الإضافية. سأذكر مثلاً واحداً، فقط، لكنه شديد الأهمية في السياق الحالي للأحداث. في العام ١٩٦٧، في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، عندما حطمت إسرائيل جيوش الدول العربية، الجيش المصري في المقام الأول، واحتلت المناطق المحتلة في الوقت الحالي. هياً ذلك الفعل المسرحي لأحداث ما زالت جارية حتى الآن. كان الاتحاد السوفياتي موجوداً آنذاك. وأصبح الصراع خطيراً إلى

حد يقترب من نشوب حرب نووية - كان من شأنها وضع خاتمة للحكاية كلها . وقد أشار روبرت مكنمارا، وزير الدفاع، آنذاك، في وقت لاحق كدنا ندخل الحرب بالمعنى الكامل للكلمة».

مع اقتراب حرب حزيران من نهايتها، جرت اتصالات عبر الخط الساخن، ويبدو أن الرئيس كوسيجين أندر الأميركيين، إذا كنتم تريدون الحرب فستنالونها . وقعت احتكاكات بحرية بين الأساطيل الروسية والأميركية في المتوسط . علاوة على ذلك، وقعت حادثة أخرى . وقع هجوم إسرائيلي على سفينة التجسس الأميركية ليبرتي، أدى إلى مقتل حوالي ٣٥ من البحارة والطاقم، وإلى إغراق السفينة من ناحية عملية . لم تعرف ليبرتي المهاجمين، الذين حرصوا على إخفاء هويتهم . وأرسلت قبل عطبها رسالة إلى قيادة الأسطول السادس في نابولي . لم تكن القيادة على علم بهوية المهاجمين . لذلك، أرسلت طائرات فانطوم، طائرات مزودة بأسلحة نووية، فلم تكن لديها طائرات مزودة بأسلحة غير نووية، للرد على المهاجمين .

لم تكن الطائرات تعرف الجهة المستهدفة، هل هي روسيا، مصر، أم جهات أخرى . ويبدو أن الطائرات تلقت أمرا من البنتاغون، في اللحظة الأخيرة، بالعودة إلى قواعدها . كان ذلك العمل بمفرده كفيلا بإشعال حرب نووية . وقد فهمت تلك الأشياء باعتبارها مخاطر جدية جدا . ربما ارتبط الجزء الأكبر من الهجوم على ليبرتي بخطط إسرائيل لاحتلال هضبة الجولان، التي نُفذت بعد وقف إطلاق النار . لم يرد الإسرائيليون أن تعرف الولايات المتحدة مقدما، فلو علمت لمنعتهم . ربما يفسر هذا الأمر تلك الحادثة . لم يُفرج عن الوثائق بعد . لذا نخمن، فقط . وربما لن يُفرج عنها أبدا .

مهما يكن من أمر . كان الواقع ينذر بالشؤم، إلى حد دعا القوى الكبرى في الجانبين إلى وضع حد له . لذلك، سارعوا للاجتماع في مجلس الأمن، وقبلوا القرار الشهير للأمم المتحدة، القرار رقم ٢٤٢، الصادر في نوفمبر ١٩٦٧، والذي وضع أرضية للتسوية السياسية . ثمة ضرورة لألقاء ضوء على ما كان عليه القرار ٢٤٢ في السابق، وما هو عليه في الوقت الحالي . فهذا القرار يختلف في الماضي عما هو عليه الآن . المعلومات المتعلقة بالقرار عامة، ولكن نادرا ما تكون معروفة، ولا تخلو من التشويه . لذا، انتبهوا إلى ما كان عليه القرار .

كانت الفكرة الأساسية في القرار ٢٤٢ السلام الكامل مقابل الانسحاب الكامل . وذلك يعني انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها قبل وقت قصير، مقابل موافقة الدول العربية على سلام كامل معها . كان في القرار نوع من الهامش الصغير، أن يشمل الانسحاب على تعديلات صغيرة ومتبادلة، مثل بعض الخطوط والتعرجات [في الحدود] التي يمكن تصويبها . كانت تلك هي السياسة . سياسة الولايات المتحدة، التي تُمارس بمبادرة منها . إذا، سلام كامل مقابل انسحاب كامل .

لاحظوا مدى أهمية هذا الأمر ، وهو حاسم جدا في الوقت الحاضر : كان القرار ٢٤٢ الصادر عن الأمم المتحدة قرارا عرفضويا . استخدم تعبير عرفضوي» في هذا المقام بطريقة غير متداولة ، بطريقة غير عنصرية . فهذا التعبير يستخدم ، عادة ، بطريقة عنصرية تماما . فيقال إن الرافضين هم الذين يرفضون حق إسرائيل في تقرير المصير القومي . ولكن ثمة نزاع بين جماعتين قوميتين . ولذلك ، استخدم تعبير عرفضوي» بطريقة غير مألوفة ، للإشارة إلى نكران حقوق أي من الطرفين المتنافسين ، بما في ذلك إنكار حقوق الفلسطينيين . لا يُستخدم هذا النوع من المصطلحات في الولايات المتحدة ، أبدا . ولا يستطيعون استخدامه ، ففي حال استخدامه سيوضح أن الولايات المتحدة هي زعيمة معسكر الرافضين . وهم لا يقبلون بذلك . لذلك ، يُستخدم التعبير دائما بطريقة عنصرية . وقد أصبحت على بيّنة الآن أنني انتقلت من الاستخدام المألوف للمصطلح .

أولا ، كان القرار ٢٤٢ رفضويا بالكامل . لم يقدم شيئا للفلسطينيين . لم يُشر إليهم ، ما عدا فقرة تتكلم عن وجود مشكلة لاجئين يجدر التعاطي معها بطريقة ما . هذا كل ما في الأمر . وما عدا ذلك فهي اتفاقية بين دول . على الدول التوصل إلى معاهدات سلام كاملة في سياق الانسحاب الإسرائيلي الكامل من المناطق . هذا هو القرار ٢٤٢ .

إذا ، بلا مواصلة لهذه العملية ، من الواضح أن أزمة الإسرائيليين والفلسطينيين فادحة جدا . يمكن أن تؤدي إلى حرب إقليمية ، وأن تتصاعد بسهولة إلى حرب عالمية تستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل ، بما ينطوي عليه الأمر من نتائج يصعب تصوّرها . ويمكن لأمر كهذا أن يحدث في أية لحظة .

ثانيا ، دور الولايات المتحدة هام جدا . هذا صحيح بالنسبة للعالم ككل ، بسبب القوة الأميركية . لكنه أكثر صحة في الشرق الأوسط ، بصفة خاصة . المكان الذي اعتبر في أعلى مراتب التخطيط لمدة خمسين عاما (وقبل ذلك ، ولكن بصورة واضحة منذ ٥٠ عاما) باعتباره العنصر المركزي في تخطيط الولايات المتحدة على صعيد العالم . وُصف الشرق الأوسط منذ خمسين عاما - إذا أردنا الاستشهاد بوثائق أصبحت متاحة للاطلاع العام - باعتباره أهم منطقة من ناحية استراتيجية في العالم . ءمصدر هائل للقوة الاستراتيجية . ءأغنى مكافأة اقتصادية في العالم . وما إلى هنالك من أوصاف ما زالت مستمرة .

لن تتخلى الولايات المتحدة عن تلك المنطقة . السبب بسيط جدا . فهي الخزان الرئيس لاحتياط الطاقة في العالم ، ولا تتبع السيطرة عليها من العوائد الاقتصادية الهائلة فقط ، بل لأن السيطرة عليها تمنح صاحب السيطرة نوعا من سلطة الفيتو على أعمال الآخرين ، لأسباب واضحة للعيان ، وذلك ما اعترف به الجميع من البداية . لذلك ، هذه مسألة جوهرية . وقد كانت مصدر الهم الأساسي للجيش الأميركي ، والتخطيط الاستراتيجي على مدار نصف

قرن من الزمن .

كانت منطقة الخليج - المخزن الرئيس لاحتياط الطاقة - هدفا من أهداف قوات التدخل الأميركية بصفة دائمة ، انطلاقا من قواعد تتمركز في جزء كبير من العالم ، من المحيط الهادي إلى جزر الآزور ، قد أثر هذا الوضع على أماكن تواجد القواعد ، باعتبارها قواعد اسناد لقوات التدخل المخصصة لمنطقة الخليج ، يدخل في هذا النطاق ، أيضا ، المحيط الهندي .

هذه مسألة فائقة الأهمية في الوقت الحاضر ، في بريطانيا على الأقل ، وفي معظم العالم ، ولكنها ليست كذلك في الولايات المتحدة . سكان جزيرة دييغو غارسيا ، في المحيط الهندي ، الذين طردوا من جزيرتهم ، وأرغموا على الانتقال إلى جزيرة موريشيوس ، بطريقة فظة ، قبل بضع سنوات ، أولئك الذين بقوا على قيد الحياة بعد الطرد ، يرفعون الدعوات في المحاكم البريطانية (كانت الجزيرة تابعة لبريطانيا) في محاولة للحصول على حق العودة إلى بيوتهم . وقد ، ربحوا قبل أشهر قليلة في المحكمة العليا البريطانية ، ومُنحوا حق العودة ، لكن الولايات المتحدة ترفض التخلي عن الجزيرة ، حيث تملك قاعدة عسكرية ضخمة ، تستخدمها القوات المخصصة لمنطقة الشرق الأوسط . قبل أيام قليلة ، طالبوا بتعويض يصل إلى ٦ مليار دولار ، والولايات المتحدة ترفض ، طبعا .

علقت مادلين أولبرايت على الطلب . قالت المسألة بين بريطانيا وموريشيوس . وليس لنا شأن بها ، رغم أننا نتمسك بالجزيرة ، ونرفض السماح لهم بالعودة ، ونرفض دفع التعويضات . من الصعب العثور على نقاش كهذا في الصحافة الأميركية ، لكن القواعد جزء من نظام التدخل المخصص للشرق الأوسط .

الذرائع الوهمية والحقيقية

على مدار سنوات مضت كانت ثمة أعذار رسمية لكل هذا الوضع . كان المبرر الراجح أن من واجبتنا الدفاع عن أنفسنا في مجابهة الروس . استخدموا هذا المبرر في كل شأن آخر ، وفي هذا الشأن بالذات . ولكن ثمة تركة من الوثائق التي تروي قصة مختلفة تمام الاختلاف . تفيد الحكاية أن الروس كانوا عاملا هامشيا في أفضل الأحوال . ومن حسن الحظ أننا لا نحتاج لنقاش المسألة مرة أخرى ، لأن الاعتراف بها تم في العلن . تم الاعتراف بها ، في الواقع ، بعد سقوط جدار برلين ، الذي أسقط المبرر . فلم يعد من الممكن التذرع بالخطر الروسي .

بعد سقوط جدار برلين بأسابيع قليلة ، قدمت إدارة بوش رسالتها السنوية إلى الكونغرس ، مطالبة بموازنة عسكرية ضخمة . كانت الرسالة وثيقة فائقة الأهمية . من المؤسف أن أحدا لم يكتب عن الموضوع ، ولكن من الواضح أنها كانت رسالة هامة جدا . أول طلب بالحصول على موازنة عسكرية ضخمة بعد سقوط جدار برلين ، عندما لم يعد من الممكن التذرع بالروس .

لذا، فهي تكشف الواقع، وتدلكم على حقيقة ما يجري. الخطر الروسي زال، كما هو متوقع، ولا نحتاج موازنة ضخمة بسبب الروس، لأنهم ليسوا مصدر تهديد، بل نحتاجها لسبب آخر. وقد اتضح أن السبب الجديد كان السبب نفسه في الماضي، لكن التعبير عن تلك الحاجة أصبح أكثر صراحة. نحتاجها لمجابهة التطور التكنولوجي لبلدان العالم الثالث، وهي طريقة في الكلام فحواها أن تلك الدول تشكل خطراً علينا إذا لم تعد تابعة لنا. ونحن نحتاج الموازنة للحفاظ على ما يدعى بالقاعدة الصناعية للدفاع، فهذه الصناعة، ضمن أمور أخرى، هي مصدر روايتنا الشهرية.

القاعدة الصناعية للدفاع مجرد مصطلح للتعبير عن صناعة التكنولوجيا المتطورة، التي يجب تمويلها من الجمهور، الذي يتحمل مخاطر وتكلفة التطوير. (معهد ماسوسيتش إحدى القنوات). هناك ضرورة لصيانة هذا الوضع، علينا الحفاظ على القطاعات الحيوية للاقتصاد، وهي بصفة أساسية في القطاعات العامة، لذا علينا صيانة القاعدة الصناعية للدفاع. وعلينا إبقاء عين قوات التدخل، التي كانت لدينا دائماً، مفتوحة على الشرق الأوسط، ومنطقة الخليج. فحوى الوثيقة (حيث لم يعد من الممكن إلقاء تبعه الخطر الذي يتهدد مصالحنا على عاتق الكرملين، خلافاً لنصف قرن، لأربعين عاماً من الأكاذيب) نأسف، أيها الناس، كنّا نكذب عليكم، ومع ذلك ما زلنا نحتاج لأموال الموازنة بسبب التطور التكنولوجي لبلدان العالم الثالث، أي خطر استقلال تلك الدول.

لهذا السبب، لا نحتاج لنقاش مسألة الحرب مع الروس، حيث تم الاعتراف أن الخطر لم يكن كبيراً. الخطر ما يجري في كل أنحاء العالم، ما أطلق عليه في زمن الحرب الباردة خطر «القومية الراديكالية». لا يهم أين توجد بين ألوان الطيف السياسية، ولكن إذا كانت استقلالية، فهي خطيرة، وينبغي زعزعتها لما تمثله من تهديد لما يُسمى الاستقرار، أي تبعية العالم للمصالح السائدة التي تمثلها الولايات المتحدة.

في الواقع، تطوّرت علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل في هذا السياق. كانت حرب العام ١٩٦٧ خطوة كبيرة إلى الأمام، عندما أظهرت إسرائيل قوتها وقدرتها على التعاطي مع القوميين الراديكاليين في العالم الثالث، الذين كانوا مصدر تهديد في ذلك الوقت، عبد الناصر بشكل خاص. كان عبد الناصر في حالة حرب غير مباشرة مع السعودية - أكثر البلدان أهمية، حيث يوجد النفط - في اليمن. وقد وضعت إسرائيل حداً لتلك الحرب، عندما حطمت جيوش عبد الناصر، فربحت الكثير من النقاط، مما أسهم في تعزيز علاقات إسرائيل بالولايات المتحدة في ذلك الوقت. وهذا ما أدركه الأمير كيون قبل عقد من هذا التاريخ، حيث لاحظت الاستخبارات الأميركية أن المعارضة المنطقية للقومية العربية، تستدعي دعم إسرائيل كقاعدة موثوقة لقوة الولايات المتحدة في المنطقة. إسرائيل موثوقة لأنها معرضة للخطر، لذا فهي في

حاجة للدعم الأميركي، الذي يخدم نتيجة منطقية أخرى هي المصالح الأميركية، فكرة جيدة بالنسبة لإسرائيل أن تكون معرضة للخطر. ما زال هذا الوضع مستمرا من حيث الجوهر، ويعتمد قدر كبير من العلاقة على السياق الذي نجمت عنه.

مهما يكن من أمر، نستطيع في الوقت الحاضر وضع الذريعة [الخطر الروسي] جانبا، والنظر إلى الأسباب المطروحة على الطاولة - خطر القومية الاستقلالية، وهي مسألة ذات أهمية خاصة بالنسبة لمنطقة الخليج، إذ يوجد فيها احتياطي الطاقة في العالم. ما يستحق الوضع بعين الاهتمام في النهاية أن الدور الأميركي ليس الدور الوحيد. فهو عامل ضمن نسيج معقد، لكنه عامل حاسم. إنه العامل الواقع تحت سيطرتنا، والذي نستطيع التأثير عليه بشكل مباشر. إذا كنا نستطيع إدانة الأعمال الفظيعة التي ترتكبها شعوب أخرى، فإننا نستطيع القيام بشيء ما تجاه أعمالنا. هذا فرق حساس في الحياة الشخصية، وفي الشؤون الدولية، أيضا. ومن المفيد ملاحظة ما تناله جرائم الآخرين من اهتمام، الجرائم التي لا نستطيع عمل شيء بشأنها، ومقارنة ذلك مع حجم ما نبديه من اهتمام تجاه جرائمنا، الجرائم التي نستطيع عمل الكثير لوقفها. تثير هذه المقارنة الأذهان، وإذا تجشمت عناء التفكير بشأنها، يمكنكم معرفة الكثير عن الثقافة السياسية التي نعيشها، والتي يُنتظر منا الاسهام فيها. لهذا السبب، وهو ليس السبب الوحيد، يجدر بنا نقاش دور الولايات المتحدة. فذلك الدور مفهوم بطريقة ضيقة، غالبا ما يجري حجبه، وهذا سبب إضافي للتركيز عليه.

أميركا والانتفاضة

فلنحاول رسم صورة لما يجري الآن، في هذه اللحظة. بدأت الانتفاضة الحالية في التاسع والعشرين من أيلول (سبتمبر)، في اليوم التالي لظهور الجنرال آريل شارون في الحرم الشريف، مع أعداد كبيرة من الجنود. كان الحدث في حد ذاته مثيرا للاستفزاز، وربما كان مقدراله المرور بلا ردة فعل تذكر. لكن ما حدث في اليوم التالي كان مختلفا. اليوم التالي يوم جمعة، يوم الصلاة. كانت هناك قوة عسكرية ضخمة، معظمها من حرس الحدود، الوحدات شبه النظامية المكلفة بارتكاب الفظائع. كانوا هناك بكامل عتادهم، ومع خروج الناس من المسجد، كان من الواضح ما ينطوي عليه وجود القوة العسكرية من استفزاز كبير. وقعت بعض أعمال قذف الحجارة، فقام الجنود بإطلاق النار على الناس، قتلوا أربعة أشخاص، أو أكثر، وجرحوا ما يزيد عن مائة شخص. بعد ذلك، اندلعت الانتفاضة. كان باراك في الحكم، بالصدفة، وليس شارون. من السهل لوم شارون، هناك الكثير من اللوم على عاتقه على مدار خمسين عاما من الفظائع، ورغم ذلك كانت الخطة من صنع باراك. سأحاول النظر في جانب واحد مما حدث منذ اندلاع الانتفاضة، وأعني استخدام طائرات

الهليوكوبتر العسكرية . في الأوّل من أكتوبر ، قتلت طائرات الهليوكوبتر العسكرية الإسرائيلية - أي الهليوكوبترات الأميركية التي يقودها طيارون إسرائيليون - فلسطينيين في غزة . في الثاني من أكتوبر ، في اليوم التالي ، قتلت عشرة فلسطينيين وجرح ٣٥ فلسطينيا في مفترق نتساريم في غزة . مكان إذا تفحصتموه جيدا ، ستجدونه مسرّحا للعديد من الفظائع الكبرى ، بما فيها الصورة الشهيرة لطفل في الثانية عشرة من العمر قتل هناك [محمد الدرّة] . ما هي نتساريم؟ الواقع أن نتساريم مجرد ذريعة لقطع قطاع غزة إلى نصفين . هناك مستوطنة صغيرة جنوبي غزة ، وهي موجودة ، فقط ، لغرض تمكين قوة عسكرية ضخمة من حمايتها ، الموقع العسكري ، طبعا ، يحتاج إلى طريق ، عريضة ، حمايته ، أي الطريق التي تشق قطاع غزة إلى نصفين ، تفصل غزة ، حيث التمرّك الرئيسي للسكان ، عن الجزء الجنوبي من القطاع ، وعن مصر ، لضمان تحويل غزة إلى سجن داخل إسرائيل كلما استدعت الحاجة . هناك مناطق فصل أخرى إلى الجنوب ، لكن نتساريم هي النقطة الأساسية ، وهناك جرى ارتكاب العديد من الجرائم . وما قتل عشرة فلسطينيين وجرح ٣٥ غيرهم سوى حادثة من تلك الحوادث العديدة .

في الثالث من أكتوبر ، كتب المراسل العسكري لجريدة هآرتس ، الجريدة العبرية الرئيسية الجادة ، تقريرا عن صفقة إسرائيلية لشراء أكبر عدد من طائرات الهليوكوبتر العسكرية خلال عقد من الزمن - أي طائرات هليوكوبتر عسكرية أميركية . تشمل الصفقة طائرات بلاك هوك ، وقطع غيار لطائرات أباتشي . الأباتشي طائرة الهجوم الأساسية ، وقد تسلمها الإسرائيليون قبل ذلك التاريخ بأسابيع قليلة . حصلوا في الصفقة على قطع غيار ، وعلى وقود للطائرات ، أيضا .

في اليوم التالي ، في الرابع من أكتوبر ، كتبت مجلة جين العسكرية البريطانية ، وهي أهم مجلة عسكرية في العالم ، تقريرا يفيد موافقة إدارة كلينتون على بيع عدد آخر من طائرات أباتشي الهجومية ، بعدما قررت أن تحديث الطائرات التي أرسلتها [إلى إسرائيل] لا يكفي ، فقررت إرسال طائرات جديدة أكثر تطورا . وفي اليوم نفسه ، ذكرت صحيفة بوسطن غلوب أن طائرات الأباتشي تهاجم مركبات سكنية بالصواريخ ، مرة أخرى ، في نتساريم . نقلت وكالات الصحافة الدولية في ذلك الوقت عن مسؤولين في البنتاغون قولهم ، وأنا استشهد بما قاله مسؤول في البنتاغون لا تشترط مبيعات الأسلحة الأميركية عدم إمكانية استخدام تلك الأسلحة ضد المدنيين ، لا نستطيع تخمين ما يدور في ذهن قائد إسرائيلي يطلب طائرات هليوكوبتر عسكرية» .

وماذا بعد ، طائرات الهليوكوبتر الأميركية تستخدم حتى الآن في الهجوم على المدنيين ، لكنها ليست متطورة بما فيه الكفاية ، وإسرائيل لا تملك الكثير منها ، لذلك قررت إدارة كلينتون التحرك نحو أكبر صفقة مبيعات خلال عقد من الزمن . شراء الطائرات يعني الحصول على

المال من جيوب دافعي الضرائب الأميركيين، بطريقة غير مباشرة. وكان على إدارة كلينتون في اليوم التالي توسيع الصفقة، لترسل لهم أباشي أكثر تطوراً، بلا اشتراطات تحظر استخدامها ضد المدنيين. عند هذا الحد، نصل إلى الرابع من أكتوبر، في ذلك اليوم وقع المزيد من الهجمات ضد المدنيين، ولن أتعرض لها الآن.

أول إشارة من جانب الصحافة الأميركية بهذا الخصوص وردت يوم ١٢ أكتوبر، على هيئة رأي في جريدة رالي الصادرة في كارولاينا الشمالية، وجاء فيها أن تلك فكرة سيئة. وهي الإشارة الأخيرة في الصحافة الأميركية، مما يعني أنها الوحيدة. هذا لا يعني أن محرري الصحف لا يعلمون [باستخدام الطائرات ضد المدنيين] فهم يعلمون بالطبع، وقد علم محررو الصحف الكبرى بصورة صريحة، وليس مردّ تجاهلهم أن الأخبار غير مهمة، بل عدم صلاحية هذا النوع من الأخبار للنشر. هذا الموقف مألوف جداً، ليس في هذا الجزء من العالم وحسب، ولكن في كل مكان، أيضاً. فمن الضروري جداً إبقاء الجمهور في حالة جهل حول ما يجري، فلو عرف الناس بأمر كهذا لما أعجبهم، وعندما لا يعجبهم شيء ربما حاولوا القيام بعمل ما. لذلك، تقع على عاتق أجهزة الإعلام [الأميركية] مسؤولية خطيرة، وعلى المثقفين بشكل عام، وعلى الجهاز التعليمي، لضمان جهل الناس بأشياء يُفضل ألا يعلموا بها. أشياء كتلك التي ذكرناها قبل قليل. وهي مهمة يقومون بها بكثير من التفاني.

في التاسع عشر من أكتوبر، نشرت منظمة العفو الدولية تقريراً يدين الولايات المتحدة لتزويدها إسرائيل بطائرات هليكوبتر عسكرية جديدة. كما ورد في التقرير كلام عن الفظائع المرتكبة، التي لم يذكرها أحد في الولايات المتحدة. في العاشر من نوفمبر نشرت منظمة العفو الدولية إدانة أكبر للاستخدام المفرط للقوة والارهاب، وما شابه، ولم يرد ذلك في الصحافة الأميركية. وما زال الوضع كما هو عليه.

دعنا ننتقل الآن إلى ما يمكننا عمله. الجواب: لدينا خيارات. نستطيع عمل الكثير. نستطيع، مثلاً [ساحراً] مواصلة تزويدهم بطائرات الهليكوبتر العسكرية، ومعدات أخرى، لنضمن استمرار إسرائيل في مهاجمة المدنيين، واستمرارها في حصارهم وتجويعهم حتى الموت. ونستطيع تقديم الأموال التي تمكن إسرائيل من مواصلة دمج المناطق المحتلة، كما فعلت حتى الآن، مستوطنات، وبنى تحتية. الخ لا يهم أية حكومة في السلطة، فقد حدث في عهد باراك ما حدث في عهد نتنياهو، ومن المتوقع أن تستمر في العام القادم، حيث وضعت بنود الموازنة للعام القادم. لذا، نستطيع الاستمرار في ذلك، إذا رغبتنا.

الخيار الثاني: نستطيع وقف مشاركتهم في هذه النشاطات، هذا واضح تماماً. لا يتطلب الأمر القصف أو فرض الحظر [على إسرائيل] بل الكف عن المشاركة في الأعمال الوحشية، أسهل شيء نستطيع القيام به. هذا خيار أماننا. وفي الواقع، ربما نذهب أبعد، ونطلب منهم

التوقف ، هذا شيء يسهل عمله عندما تكون لدى دولة من الدول ما تملكه الولايات المتحدة من قوة . قدمت مثلين .

إذا صممنا على الخيار الثاني ، المتاح دائماً ، هنا ، وفي كل مكان آخر ، ثمة شرط مسبق . الشرط المسبق أن نعرف حقيقة ما يجري . لا يمكنكم تعيين الخيار ، فلنقل خيار وقف تزويدهم بطائرات الهليوكوبتر العسكرية (تعلمون أن طائرات الهليوكوبتر مجرد نموذج في صورة أكبر بكثير) ما لم تعرفوا عنها . لكن المسؤولية الثقيلة لعالم المثقفين ، وأجهزة الإعلام والصحف والجامعات وغيرها ، تتمثل في منع الناس من المعرفة . ذلك يستدعي بذل الجهد ، فهو ليس بالأمر السهل ، ويتطلب في هذه الحالة الكثير من التفاني لحجب الحقائق ، وعدم تمكين الناس من معرفة ما يجري باسمهم ، فلو علموا ، لما قبلوا بذلك ، وحاولوا الرد .

أوسلو

ينطبق الأمر نفسه على المستوى الديبلوماسي . ننتقل إلى هذا الجانب الآن . نبدأ بالمرحلة الجارية من الديبلوماسية ، ما بدأ في سبتمبر (أيلول) ١٩٩٣ ، أي اتفاقات أوسلو الشهيرة . في سبتمبر (أيلول) ١٩٩٣ كان ثمة اجتماع في حديقة البيت الأبيض ، وكان العنوان الرئيس لجريدة بوسطن غلوب يصف ذلك الاجتماع بـ «يوم الدهشة» . وافق الفلسطينيين والإسرائيليين تحت إشراف كلينتون على ما أسموه اتفاق مبادئ . كانت هناك بعض المسائل [الملتبسة] آنذاك ، ومن الضروري فهم كيف تعاطى اتفاق المبادئ معها .

إحدى المسائل الأرض - ماذا سيحدث بالنسبة للأراضي المحتلة ، كيف سيتم التصرف بها . تلك هي المسألة الأولى . المسألة الثانية ، موضوع الحقوق القومية . الآن هذه المسألة تُطرح بالنسبة للفلسطينيين . فهي لا تنطبق على إسرائيل ، وليست مدار بحث ، ولم تكن مدار للبحث . السؤال الوحيد ماذا بشأن حقوق الفلسطينيين؟ السؤال الثالث ، ماذا عن الحق في المقاومة؟ هل يحق للفلسطينيين ، أو اللبنانيين ، في هذه الحالة مقاومة الاحتلال العسكري؟ السؤال الرابع ، هو مرادف لما سبقه ، هل تملك قوة الاحتلال (هل تملك إسرائيل ، وهذا يعني الولايات المتحدة ، هنا) حق الهجوم في الأراضي المحتلة وفي لبنان؟ هذه هي الأسئلة الأربعة الأساسية .

قدم إعلان المبادئ إجابات . بالنسبة للأرض ، نص اتفاق المبادئ على التسوية النهائية على أساس قرار ٢٤٢ . لكن هذا يثير التساؤل . ما معنى القرار ٢٤٢؟ وعلينا عند هذا الحد العودة إلى الوضع الديبلوماسي ما قبل إعلان المبادئ . سأعود إلى هذه النقطة بعد قليل . السؤال الثاني حول الحقوق القومية ، يتم الرد عليه على أساس القرار ٢٤٢ . وكل من حرص على التركيز في سبتمبر (أيلول) ١٩٩٣ ، كان بوسعه رؤية الوجهة التي يتخذها هذا الرد . يقول إعلان المبادئ إن التسوية الدائمة ، محصلة المدى البعيد ، نهاية الطريق ، ستكون قائمة على

القرار ٢٤٢ بمفرده . وقد كان موضوع الديبلوماسية الدولية على مدار عشرين عاما عرفضوية»
القرار ٢٤٢ .

تذكروا أن القرار لا يقول شيئا عن الفلسطينيين . وقد بذلت سلسلة من الجهود على مدار عشرين عاما لوضع تنمة للقرار تشمل حقوق الفلسطينيين ، إلى جانب حقوق إسرائيل ، التي لم تكن موضع تساؤل أبدا . هذا ما كان عليه الوضع منذ أواسط السبعينات حتى أواسط . وقد ربحت الولايات المتحدة على طول الخط في هذا الجانب . فلا يجب بحث حقوق الفلسطينيين ، فالمسألة هي القرار ٢٤٢ ، ولا كلام عن حقوق الفلسطينيين ، التي لم تذكر ، وتلك هي التسوية الدائمة . والأرض؟ هي القرار ٢٤٢ ، أي أن الولايات المتحدة تقرر (سأعود لاحقا إلى هذا الأمر) الحقوق القومية ، الولايات المتحدة ربحت ، واستسلم بقية العالم . ماذا عن الحق في المقاومة؟

وماذا عن حق الهجوم . مقابل تخلي الفلسطينيين عن الحق في المقاومة ، احتفظ الإسرائيليون بالحق في الهجوم ، وما زالوا يكررون استخدامه بدعم من الولايات المتحدة قبل أواسط وبعد . لاحظوا عدم وجود ذريعة دفاعية من ناحية فعلية خلال هذه الفترة ، خلافا لما يرد في التعليقات الأميركية . هذا يصدق على الماضي أيضا ، خلافا للدعاية ، فإن سلسلة الهجمات الإسرائيلية/ الأميركية ، كلها تقريبا ، في المناطق المحتلة ، وكذلك في لبنان ، لم تكن لأغراض دفاعية . فقد بادرت إسرائيليون ، بما في ذلك الغزو عام ١٩٨٢ ، ولم يكن ذلك بالأمر البسيط ، أعني أنهم لم يروا فيه أمرا كبيرا الشأن هنا [في أميركا] مع ذلك ، خلال ٢٢ عاما من الاحتلال الإسرائيلي غير الشرعي لجنوب لبنان ، وفي انتهاك لقرارات مجلس الأمن (ولكن بموافقة من الولايات المتحدة) قتل الإسرائيليون ما بين ٤٥ و ٥٠ ألفا من اللبنانيين والفلسطينيين ، ليس هذا بالعدد البسيط . ومنها هجمات وحشية كثيرة جرت بعد اتفاق أواسط ، وكذلك في عامي ١٩٨٣ و ١٩٨٦ .

بالمناسبة ، ربما رغبت بمقارنة هذا الوضع مرة أخرى مع صربيا وكوسوفو . المقارنة في هذه الحالة نوع من الرياضة الذهنية ، لأنها لم تحدث أبدا . ولكن تصوروا صربيا تقصف ألبانيا كما قصف إسرائيل لبنان . يخلق هذا الوضع نوعا من التماثل ، لكنه لم يحدث ، ويمكن أن تتصوروا ما ستكون عليه ردة الفعل . [عدم وجود المقارنة] يفسر بعض قيمنا ، ويفسر ضرورة الحفاظ على الانضباط في موضوعات كهذه ، كي لا يفكر فيها الناس هذا بشكل عميق . منظمة التحرير الفلسطينية قبلت ذلك بطريقة يائسة ، بينما لم تلتزم إسرائيل ، ولا إعلان المبادئ ، بشيء من هذا القبيل على الإطلاق . يجب أن ننظر إلى ما حدث في حديقة البيت الأبيض ، في يوم الدهشة . فقد صدر عن رئيس الوزراء رابين تعليق مهذب في عبارات قليلة ، فبعد موافقته على الإعلان قال إن إسرائيل تعترف بمنظمة التحرير

الفلسطينية الآن كممثل للفلسطينيين. لا شيء عن الحقوق القومية، لا شيء البتة. نحن نعترف بكم كممثل للفلسطينيين، وشرح وزير خارجيته شيمون بيريز، المعترف من الحمايم، على الفور بالعبرية في إسرائيل. قال، أجل، نستطيع الاعتراف بهم الآن، لأنهم رضخوا لشروطنا، لذا لا توجد مشكلة في الاعتراف بهم.

الحق في المقاومة

فلنعد قليلاً إلى الوراء، إلى الوضع الديبلوماسي السابق، الذي يمكننا من وضع هذا الأمر في نصابه. نسأل: ماذا عن الحق في المقاومة. حق مقاومة الاحتلال العسكري في المناطق، وفي لبنان؟ نُوقشت هذه المسألة بالفعل في المجتمع الدولي، لكنكم لن تعرفوا عنها هنا [في أميركا]. في ديسمبر ١٩٨٧، الذي كان ذروة الضجة حول الإرهاب الدولي، طاعون العالم المعاصر، كما يُقال. ناقشت الجمعية العامة للأمم المتحدة وأقرت قرارا يدين الإرهاب بقوة، معتبرة أن الإرهاب أسوأ الجرائم، وقد تمت الموافقة عليه بغالبية ١٥٣ أصوات مقابل صوتين، وهذا طبيعي جداً. الدولتان المعترضتان، كالمعتاد، هما الولايات المتحدة وإسرائيل. وتغيبت دولة واحدة عن التصويت هي هندوراس، لأسباب غير معلومة. لذلك، تم التصويت على القرار بالإجماع تقريباً، ما عدا الولايات المتحدة وإسرائيل. ولكن لماذا تعترض الولايات المتحدة وإسرائيل، وهذا يعني فيتو لأن الولايات المتحدة صوتت ضد قرار يدين الإرهاب. السبب أن القرار ضمّ فقرة تقول أن لا شيء في هذا القرار يحجف بحق الشعوب في النضال ضد الأنظمة العنصرية والكولونيالية، والاحتلال العسكري الأجنبي، والحصول على الدعم من آخرين في كفاحها من أجل الحرية في ظل هذه الظروف. لا تقبل الولايات المتحدة هذا القرار بطبيعة الحال، فقد كان من شأنه منح المؤتمر الوطني الأفريقي حق مقاومة نظام جنوب أفريقيا، وهذا غير مقبول، وكان من شأنه منح اللبنانيين حق مقاومة الاحتلال العسكري الإسرائيلي، وهذه غير مقبول، وكان من شأن هذا القرار أن يمتد إلى المناطق المحتلة، أيضاً. لذلك، رفضته الولايات المتحدة وإسرائيل، وفي الواقع، كما جرت العادة، تم نفيه من التاريخ. لم تجر الإشارة إلى تلك الحادثة، هنا، لم تُذكر، وربما لن توجد البتة طالما لم تقرأوا عنها في الأدبيات ذات الصلة، لكن القرار هناك، إذا ذهبتم إلى محفوظات الأمم المتحدة التي يعلوها الغبار ستجدونه.

ولكن ما هو حق المقاومة، الذي اعترضت عليه الولايات المتحدة وأخرجته من التاريخ؟ ماذا عن الحق في الهجوم؟ هذا الحق موجود بأمر من الولايات المتحدة، فكما ذكرت خلال ٢٢ عاماً من الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، بموافقة الولايات المتحدة، قتلوا ما بين ٤٠ و ٥٠ ألف نسمة، وارتكبت هناك العديد من الأعمال الوحشية، عمليات القبض الحديديّة

الإرهابية في ١٩٨٥ ، مثلاً . لكن حق الهجوم لا يقتصر على جنوب لبنان ، بل يمتد أوسع من ذلك ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ أعوام مثيرة للاهتمام ، ذلك الوقت كان ذروة الهستيريا حول الإرهاب الدولي ، كان الإرهاب يتصدر كل شئ آخر في الصحافة . في الواقع ، وقع كثير من أعمال الإرهاب في تلك السنوات ، في عام ١٩٨٥ ، مثلاً ، قامت إسرائيل بقصف تونس ، مما أسفر عن قتل ٧٥ من الفلسطينيين والتونسيين ، بلا ذريعة واضحة ، وقد أيدت الولايات المتحدة القصف ، رغم أن شولتز ، الذي كان وزيراً للخارجية وقتها تراجع عندما أذن مجلس الأمن بالإجماع العملية كعمل من أعمال العدوان المسلح ، أي كجريمة حرب ، وقد امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت . كانت الولايات المتحدة متورطة بصورة مباشرة . فقد تراجع الأسطول السادس في البحر المتوسط بطريقة ما لتمكن الطائرات الإسرائيلية من التزوّد بالوقود في الجو ، متظاهراً بأنه لم يلاحظ شيئاً ، ولم تقم الولايات المتحدة بتحذير تونس ، وهي حليفة لها ، بوقوع هجوم من الجو . لذا ، هذا عمل كبير من أعمال الإرهاب في ذلك العام ، تنوع للأعمال الإرهابية كان عملية تفجير سيارة في بيروت ، قتل في الحادثة ٨٠ شخصاً وجرح حوالي مائتي شخص ، قامت بها المخابرات المركزية الأميركية والبريطانية في محاولة لقتل شيخ مسلم ، أخفقوا في قتله ، لكنهم قتلوا الكثير من الناس . وقعت عملية تفجير السيارة على باب المسجد ، جرى توقيتها لحظة خروج المصلين ، وهذا يؤدي إلى مقتل عدد كبير من المدنيين .

هذا ما جرى ، لكنه غير مذكور في سجلات الإرهاب ، شأنه شأن قصف تونس ، هناك قصف الولايات المتحدة لليبيا في العام التالي ، عمل آخر من أعمال العدوان المسلح ، اعتبروه مسموحاً به .

ارهاب أميركا والوكلاء

ينبغي القول أن الرأي العربي في الشرق الأوسط ، وهنا أيضاً ، مضلل جداً حول كل هذه الأحداث ، فهم يقولون باستمرار إن الولايات المتحدة تغض الطرف عن الإرهاب الإسرائيلي بسبب نفوذ اللوبي اليهودي ، وما شابه ، وهذا ببساطة غير صحيح . فهم يجهلون حقيقة وجود مبدأ أكثر عمومية في هذه الحالة وغيرها . المبدأ أن الولايات المتحدة تملك الحق في الإرهاب ، والحق يستخدمه من يشتغلون وكلاء لها ، ولا يهم من هم . وبما أن إسرائيل وكيل للولايات المتحدة ، لذا تملك حق الإرهاب .

يمكنكم ملاحظة هذا الأمر بوضوح في أجزاء أخرى من العالم ، فلنعت مثلاً من منطقة أخرى من العالم في الوقت نفسه ، أقرت وزارة الخارجية الأميركية عام ١٩٨٧ بما يعرفه كل من يحرص على المعرفة ، أقرت أن قوات الإرهاب التي تهاجم نيكاراغوا كانت تحت قيادة وتدريب أميركيين لمهاجمة ما يدعى الأهداف «الناعمة» أي الأهداف المدنية من نوع التعاونيات الزراعية والمراكز

الصحية، وما شابه. وكانوا يستطيعون القيام بهذا لأن الولايات المتحدة تسيطر سيطرة كاملة على الجو، وتراقب، وكانوا قادرين على إرسال معلومات عن مواقع قوات الجيش النيكاراغوي إلى قوات الإرهابيين المحلية التي تشن هجمات من هندوراس، ليذهبوا إلى أماكن أخرى، وهلم جرا. تم الاعتراف بهذا كله صراحة، ولم يهتم أحد غير المعنيين أصلاً بأشياء كهذه. لكن منظمات حقوق الإنسان لم تحجج، منظمة أميركا واتش احتجت وقالت أنه فظيع.

حدث رد، رد ملفت للنظر، يجب أن تطلعوا عليه، من جانب مايكل كينسلي، الذي كان ما يشبه ممثل اليسار الحمايمي في التيار العام، وما زال كذلك. نشر مقالة أشار فيها، متكلما باسم اليسار الحمايمي، أنه من الصحيح تماما أن تلك الهجمات الإرهابية ضد أهداف محددة سببت معاناة كبيرة للمدنيين، لكنها ربما كانت شرعية وقابلة للفهم، وطريقة الوصول إلى هذا الفهم هي القيام بتحليل التكلفة والفائدة» وأنا أستشهد بما كتب، علينا قياس مقدار الدم والشقاء الذي نجلبه» ومقارنتهما مع النتيجة، أي الديمقراطية، أي حكم رجال الأعمال على حساب الشعب. وإذا كان حساب الربح والتكلفة صحيحا، فمن الصائب إلحاق الأذى وسفك الدماء والتسبب في معاناة كبيرة. باختصار، يقاس العدوان والإرهاب بمقاييس براغماتية، ونحن من يقرر ما إذا كانت صحيحة، ولا أحد غيرنا. وكلاء الولايات المتحدة يرثون هذا الحق - ليس إسرائيل بمفردها بالضرورة.

لذلك، اعتقد أن ما ينبغي الاعتراف به، خلافا لما يقوله العرب هنا وفي الخارج، أن واشنطن توظف الناس وكلاء لها بحظوظ متساوية، فهي لا تميز في سياستها المدافعة عن الإرهاب وجرائم الحرب، وما شابه. وإذا خرج أحد عن الخط يعرف مكانه.

عودة إلى ٢٤٢

فلنتقدم خطوات قليلة في اتجاه القرار ٢٤٢. تذكروا أن قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ كان وثيقة أساسية، وأن التسوية الدائمة حسب العملية الجارية رفضية إلى حد بعيد، لا تعطي شيئا للفلسطينيين. وقد نظروا إلى ذلك القرار بقدر كبير من الخطورة. كان خطر الحرب يلوح في الأفق آنذاك، حرب نووية. لذلك، دعا القرار إلى انسحاب كامل مقابل سلام كامل. حدثت ورطة. رفضت إسرائيل الانسحاب الكامل، ورفضت الدول العربية السلام الكامل. جرى التخلص من الورطة في عام ١٩٧١، عندما عرض الرئيس السادات، بعيد توليه الحكم، قبول الموقف الرسمي الأميركي. قال إنه يقبل السلام الكامل مع إسرائيل مقابل الانسحاب الجزئي، لم يتطرق إلى القرار ٢٤٢، بل الانسحاب الإسرائيلي الجزئي من الأراضي المصرية. فإذا وافقت إسرائيل على الانسحاب من سيناء يوافق على السلام الكامل. لم يقل شيئا عن الفلسطينيين، لا شيء عن الضفة الغربية. وبالتالي، نظرت إسرائيل إلى العرض رسميا كعرض حقيقي للسلام. وقد أطلق راين في مذكراته على ذلك الموقف في وقت لاحق معلم بارز

على طريق السلام».

داخليا، فهم الاسرائيليون أنهم يستطيعون الحصول على السلام في هذه النقطة، سلام عام. في ذلك الوقت، كتب حاييم بارليف، الجنرال المتقاعد، وأحد قادة حزب العمل، في صحيفة للحزب، هذا أمر مقبول، بهذا العرض يمكننا الحصول على سلام كامل. الصراع سينتهي إذا قررنا أنه انتهى، ومع ذلك، أعتقد يجب أن نرفض، فإذا تمسكنا لفترة أطول نحصل على شيء أكبر. يقتضي العرض انسحابنا من سيناء، ولا أعتقد أن علينا القيام بذلك، بناء عليه اصمدوا، وتنازلوا عن السلام. وهذا ما فعلته إسرائيل. كان موقفها لن ننسحب إلى حدود ما قبل الرابع من حزيران.

وجدت الولايات المتحدة نفسها في ورطة آنذاك. هل تواصل سياستها الرسمية، السياسة التي خلقتها في الواقع، أي القرار ٢٤٢، أم تتخلى عن القرار، مما يعني الوقوف إلى جانب السادات ومصر ضد إسرائيل، أم تتخلى عن سياستها وتقف إلى جانب إسرائيل ضد مصر، وهذا يعني إلغاء القرار ٢٤٢ فعليا. نشب صراع داخلي، آنذاك. كانت وزارة الخارجية تفضل الحفاظ على السياسة، بينما أراد هنري كيسنجر، مستشار الأمن القومي، ما أسماه بالوصول إلى مأزق، معنى هذا الكلام: لا ديبلوماسية، ولا مفاوضات، بل القوة. وقد انتصر كيسنجر في الصراع. ألغت الولايات المتحدة من ناحية عملية القرار ٢٤٢، الذي لم يعد قائما، وعلى الناس فهم هذه الحقيقة.

القرار ٢٤٢ يعني ما تريده الولايات المتحدة أن يعنيه، كما الشأن في مجالات أخرى، فهذا معنى القوة. يعني الانسحاب إلى الحد الذي تقرره الولايات المتحدة وإسرائيل، وهذا معنى القرار منذ ذلك الوقت. لذا، عندما يحتج الفلسطينيون والدول العربية في الوقت الحاضر لأن إسرائيل لا تطبق القرار ٢٤٢، فهم يختارون تجاهل السجل التاريخي، والعمى ليس موقفا مفيدا إذا كان عليك الخوض في الشؤون الدولية. ربما تجد نفسك مضطرا لفتح العينين. لم يعد القرار ٢٤٢ قائما منذ فبراير ١٩٧١، فهو قائم بالمعنى الكيسنجري فقط. ينبغي الآن المزيد من الدقة، لأن الولايات المتحدة ما زالت تؤيد المعنى الأصلي للقرار ٢٤٢ بصفة رسمية. لذا، يمكن العثور على تصريحات لجيمي كارتر، ورونالد ريغان، أو من يكتبون خطاباتهم، وجورج بوش، يقولون نحن نصر على القرار ٢٤٢ بمعناه الأصلي، ولن نعثرنا على تصريحات ليل كلنتون. أعتقد أن كلنتون أول رئيس أميركي لم يول القرار ٢٤٢ حتى الاهتمام الشكلي. الحقيقة أن الاهتمام الشكلي مجرد نفاق، وبينما يتمسكون به لأغراض دعائية، يقومون بتزويد إسرائيل بالدعم المالي والعسكري والديبلوماسي لانتهاك القرار ٢٤٢، أي العمل على دمج المناطق المحتلة في إسرائيل. لذلك، تأييد القرار مسألة نفاق، ولعل كلنتون يستحق الشناء لأنه كان على قدر من النزاهة فلم يتكلم عنه.

وبالتالي، هذا الوضع يعيدنا إلى فبراير ١٩٧١. عارضت الولايات المتحدة بقية قرارات الأمم المتحدة، ما عدا القرار ١٩٤، الصادر في ١١ نوفمبر ١٩٤٨، والداعي إلى حق اللاجئين في العودة أو التعويض. أيدت الولايات المتحدة، من ناحية شكلية، هذا القرار، وتكرر التصويت عليه سنويا في الأمم المتحدة. لكن هذا التأيد نوع من النفاق الأكيد. مرة أخرى، تجاوز كلينتون هذا النفاق، سحب الموافقة الأميركية، لذلك كان التصويت آخر مرة على هذا القرار في الأمم المتحدة بالإجماع، ما عدا معارضة إسرائيل والولايات المتحدة. كما أعلنت إدارة كلينتون أن كل قرارات الأمم المتحدة المتصلة بذلك لاغية وباطلة. فلم يعد في الميدان سوى عملية أوسلو، أليس هذا نوع من الصراحة؟

عزل مصر

أوضح السادات في عام ١٩٧١، وواصل ذلك على مدار عدة سنوات، لجعل الأمر أكثر وضوحاً أن عدم قبول الولايات المتحدة بتسوية عن طريق المفاوضات سيدفعه إلى طريق الحرب. لم يأخذه أحد على محمل الجد. يوجد الكثير من العنصرية هنا. فهم يفترضون، هنا، أن العرب لا يجيدون القتال. وفي النهاية، جاءت الحرب في عام ١٩٧٣، واتضح أنها خطيرة جدا، وقد أخافت الجميع. بدت المجابهة النووية وشيكة، وكانت إسرائيل في ورطة حقيقية لفترة من الوقت. فهموا أن مصر لا يمكن إسقاطها من الحساب. فهم ليسوا مجانين. لذلك تراجع كيسنجر إلى الموقف الطبيعي، أي عزل مصر عن الصراع. مصر قوة الردع العربية الوحيدة، لا نستطيع تجاهلها، لذا يجب عزلها، ثم أتت ديبلوماسية الجولات المكوكية. في عام ١٩٧٧ جاءت زيارة السادات الشهيرة إلى القدس، حيث جرى الترحيب به كقديس باعتباره أول زعيم عربي يرغب في الحديث مع إسرائيل. وفي الواقع، إذا دققنا في خطابه، نجد أنه كان أقل من عرضه السابق في فبراير ١٩٧١. ففي ذلك العام عرض السلام الكامل، دون ذكر للفلسطينيين. أما في زيارته إلى القدس فقد أصر على حقوق الفلسطينيين. أصبح هذا جزءاً من التاريخ، لكن مبادرة فبراير ١٩٧١، أصبحت خارج التاريخ، فلن تجدونها حتى في الدراسات الأكاديمية، بينما زيارة القدس حاضرة في التاريخ، لأن الولايات المتحدة وجدت نفسها مضطرة لقبول العرض، أما في فبراير ١٩٧١ فكانت قادرة على رفضه. لذلك، ثمة مبادرة في التاريخ وأخرى خارجه. السادات قديس علماني بسبب زيارته في العام ١٩٧٧، وليس بفضل عرضه الأهم في فبراير ١٩٧١. هذا يرجع إلى كامب ديفيد في عامي ١٩٧٨، و١٩٧٩ في عهد كارتر، وهي تعتبر لحظة كبيرة في عملية السلام. وافقت إسرائيل على الانسحاب من سيناء، مثلما عرضت مصر قبل سبع سنوات، ولم يكن في وسع الولايات المتحدة سوى الموافقة هذه المرة. ورغم ذلك فهتم النتيجة بطريقة واضحة جدا في إسرائيل.

أشار أحد كبار المحللين الاستراتيجيين في إسرائيل ، أفنير يانيف ، مباشرة أن تسوية كامبد ديفيد تخرج قوة الردع العربية الوحيدة ، مما يسمح لإسرائيل مواصلة دمج المناطق المحتلة ، ومهاجمة جيرانها في الشمال ، مهاجمة لبنان ، بدعم كامل من الولايات المتحدة في الحالتين . سارعت إدارة كارتر إلى زيادة الدعم لإسرائيل ، ليصل إلى ما يزيد عن نصف إجمالي المساعدات الأميركية في الخارج ، لضمان تحقيق تلك الأهداف .

حقوق الفلسطينيين

بينما كانت هذه الأشياء تجري ، كان ثمة تيار آخر ، فقد تغيّر الإجماع الدولي حول الموضوع . في عام ١٩٦٧ لم يكن ثمة شيء للفلسطينيين ، ومع أوائل السبعينات بدأ الوضع في التغيّر . مع أواسط السبعينات حدث اجماع دولي كبير ، يضم الجميع تقريبا للمطالبة بالحقوق القومية للفلسطينيين إلى جانب إسرائيل . ضم الموقف الروس ، وأوروبا ، وآسيا ، وأميركا اللاتينية ، الجميع تقريبا . وبلغ ذلك الذروة في يناير ١٩٧٦ ، في حدث آخر ضروري لفهم ما يحدث الآن ، لكنه غير مذكور ، لأنه يروي القصة الخطأ . يمكنكم العثور عليه ، لكنه خارج التاريخ ، وخارج الدراسات الأكاديمية ، أيضا . ففي العام ١٩٧٦ ، درس مجلس الأمن مشروع قرار يدعو لحل يقوم على دولتين . تضمن القرار كل ما ورد في القرار ٢٤٢ ، كل ما يتصل بحقوق إسرائيل وما شابه ، لكنه أضاف الحقوق القومية للفلسطينيين في المناطق المحتلة ، التي يجب على إسرائيل الانسحاب منها حسب الفهم الأصلي للقرار ٢٤٢ . حسنا ، ماذا حدث بالنسبة لذلك القرار؟

طرح ذلك القرار ما يُعرف بدول المواجهة ، سوريا ومصر والأردن ، ونال تأييدا قويا من جانب منظمة التحرير الفلسطينية ، التي ربما تكون قد نسيت هذا الأمر . وأظن أنها نسيت . لكن القرار حسبما ذكر ممثل إسرائيل في الأمم المتحدة ، حاييم هرتسوغ (أصبح رئيسا لإسرائيل في وقت لاحق) أعدته منظمة التحرير الفلسطينية . لا أرجح هذا الاحتمال ، ولكن هذا ما تعتقده إسرائيل على الأقل . مهما يكن من أمر ، لا شك أن القرار حظي بتأييد المنظمة ، ودول المواجهة ، والعالم كله تقريبا . ربما لم يؤيده القذافي ، لا أذكر الآن ، لكن العالم كله تقريبا أيد القرار .

كان على الولايات المتحدة وإسرائيل التحرك . تصرّفت إسرائيلية بالطريقة المعهودة ، فقصفت لبنان ، وأسفر القصف عن قتل ٥٠ شخصا في قرية اختيرت بطريقة عشوائية . نشرت الصحافة ، هنا ، ما حدث ، لكنهم اعتبروا الحدث قليل الأهمية . كان الحدث فعلا انتقاميا ضد الأمم المتحدة . على إثر ذلك تحركت الولايات المتحدة بطريقة أبسط من طريقة إسرائيل ، أي استخدمت حق النقض في مجلس الأمن . لذلك ، نُقض القرار من جانب كارتر ، وهذا يعني

إخراجه من التاريخ. تذكروا، من المؤلف جدا أن تنقض الولايات المتحدة قرارات مجلس الأمن. وهي في الحقيقة بطل العالم في نقض القرارات. لكن تلك القرارات اختفت من التاريخ، أيضا. فعل كارتر الأمر نفسه في العام ١٩٨٠، تجاه القرار نفسه، ورغم ذلك حافظ الإجماع الدولي على تماسكه.

يمكن الآن أن تفهموا سبب إشارة إعلان المبادئ في سبتمبر ١٩٩٣ إلى القرار ٢٤٢، ولا شيء سواه. ففي ذلك الوقت تراكم عدد كبير من القرارات التي نقضتها الولايات المتحدة في مجلس الأمن، لكنها حظيت بالموافقة في الجمعية العامة، قرارات تطالب بالحقوق القومية للفلسطينيين، ولم يُرد لها أن تكون جزءا من التسوية الدائمة في ظل الفهم الأميركي لعملية السلام. صوتت الجمعية العامة السنة تلو الأخرى، على قرارات متشابهة بصياغات متفاوتة قليلا، ولن ادخل في التفاصيل، وهي في المجمل حول حل يقوم على دولتين، على حقوق قومية للشعبين. كانت القرارات تصدر بموافقة ١٥٠ دولة، واعتراض دولتين، أو ما شابه. كانت الولايات المتحدة، تكسب، أحيانا، صوتا من السلفادور، أو دولة أخرى، لكن الإجماع على تلك القرارات استمر سنة بعد أخرى، ولم ينشر شيء عن هذا الموضوع، هنا. وربما لن يذكروا شيئا البتة.

كان آخر القرارات في ديسمبر ١٩٩٠، جرى التصويت ١٤٤ دولة مقابل دولتين. التاريخ مهم. فبعد التصويت بوقت قصير، بعد أسابيع قليلة قصفت الولايات المتحدة وبريطانيا العراق. وأنتم تعرفون الطرف القوي، وتم لهم ما أرادوا. أعلن جورج بوش، خلال القصف، ما قد يعتبر مولد النظام العالمي الجديد. عرف ذلك العالم بطريقة مبسطة: ما نقوله يُنفذ. قال ذلك بقدر من الوضوح، خاصة بالنسبة للشرق الأوسط، وقد فهم بقية العالم الرسالة. تراجع الجميع. اختفت أوروبا، كان العالم الثالث في حالة فوضى، وكانت روسيا قد انتهت.

كامب ديفيد ٢٠٠٠

كان في وسع الولايات المتحدة في هذه المرحلة مواصلة موقفها الرفضي المتطرف، وهذا ما فعلته. جاء مؤتمر مدريد بعد بضعة أشهر، ومن المؤتمر انفتح الطريق أمام أوسلو. بعدها جاءت اتفاقيات متلاحقة، واستمر دمج الفلسطينيين في المناطق المحتلة خلال فترة أوسلو. إن الاتفاقات المختلفة، ولن أنطرق إليها، تسمح بعملية الدمج، بينما تقوم الولايات المتحدة بتمويلها، وحماتها دبلوماسيا. عند هذا الحد نصل إلى كامب ديفيد والعام ٢٠٠٠. بالنسبة لعرض باراك المثير للانتباه، وما أحاط به من ملاسبات، والقول أنه على استعداد لإعطاء كل شيء - لا أساس بالمطلق لمثل هذه الأقوال. حدث تركيز على القدس، لأسباب

جديرة بالاهتمام . ربما كانت القدس أسهل المشاكل من جهة الحل ، وبالنسبة لكليتون وباراك كان التركيز عليها مفيدا لحرف الانتباه عن الأشياء المهمة ، أي ما يجري في الأراضي المحتلة ، المستوطنات ، تطوير البنية التحتية ، التطويق وما شابه . بالنسبة للفلسطينيين كانت التركيز على القدس مفيدا ، فهم في حاجة ماسة للحصول على دعم من الدول العربية ، والدول العربية لا تهتم البتة بما يصيب الفلسطينيين . ربما اهتمت الشعوب العربية ، لكن القادة لا يهتمون ، ومن ناحية أخرى يصعب عليهم التخلي عن السيطرة على الأماكن الدينية ، لأن شعوبهم قد تثور . لذلك ركزت جميع الأطراف على القدس ، متجاهلين المشكلة الحاسمة ، التي اتخذت وجهة أخرى .

معني خرائط إسرائيلية ، خرائط الوضع النهائي ، وهي حول ما ينبغي أن تكون عليه التسوية على المدى البعيد . كيف يبدو الوضع في الخرائط ؟ باختصار ، ما يدعى بالقدس تمتد على طول الطريق حتى نهر الأردن ، يقسم هذا الامتداد الضفة الغربية إلى قسمين ، مع وجود مدينة كبيرة في الوسط هي معاليه أدوميم . ثمة انقطاع آخر في الشمال عبر السامرة ، يشمل بلدات إسرائيلية مأهولة . تحتفظ إسرائيل بالسيطرة على نهر الأردن ، أريحا معزولة . الخلاصة أربعة تجمعات سكنية فلسطينية كبيرة ، معزولة عن بعضها وعن القدس ، ولكن ثمة إحياء أن نوعا من صلة بلا معنى يمكن أن تنشأ بينها على المدى الطويل ، لذلك تلك التجمعات محاصرة ومعزولة بالكامل . ما يدعى بالقدس يمتد شمالا حتى رام الله ، وجنوبا حتى بيت لحم . إذا نظرت إلى الخريطة تلك هي المنطقة التي تقطعها مناطق الاستيطان في الشمال والوسط والجنوب . وهي مصممة بطريقة ما على غرار سياسة جنوب أفريقيا في الستينات ، حيث تكون التجمعات السكانية تحت إدارة محلية ، وكل ما عدا ذلك في يد القوة السائدة ، المصادر ، الأراضي القابلة للاستخدام ، وما شابه . ثمة بنية تطوير هائل للبنية التحتية على هذا الأساس ، وما عدا ذلك نوع من الكذب .

الولايات المتحدة تدفع التكاليف كلها ، بالطبع . هذا هو العرض الرائع الذي قدموه . وبمعزل عما تكلموا عنه ، المهم ما يجري فعليا على الأرض . وما يجري على الأرض يمثل تطبيقا لهذه السياسة . أخيرا ، لا تستطيع التنقل لمدة نصف يوم بالسيارة في الضفة الغربية دون ملاحظة ما يجري على الأرض . ثمة صعوبة أكبر في التنقل في غزة ، لأنها تكون مغلقة في العادة ، لكن السياسة نفسها تُمارس هناك .

التبعية الكولونيالية

الوضع خطير إلى حد بعيد . منذ الاحتلال في العام ١٩٦٧ وحتى العام ١٩٩٣ ، حرصت إسرائيل ، وعندما أقول إسرائيل أعني الولايات المتحدة ، على عدم حدوث تنمية في الأراضي

المحتلة. ولكن بعد العام ١٩٩٣، عندما ذهب الصحفيون الإسرائيليون، الذين اعتادوا تغطية الأحداث في الأراضي المحتلة، إلى الأردن، صدموا بما شاهدوه وكتبوا عنه في الصحافة العبرية. الأردن بلد فقير، وإسرائيل دولة غنية. قبل العام ١٩٦٧، كان الأردنيون والفلسطينيون في الأردن يعيشون أوضاعاً متشابهة. في الواقع، كان ثمة تطوّر أكبر في الضفة الغربية. ولكن في العام ١٩٩٣ كان الوضع شديد الاختلاف. في البلد الأفقر تطوّر في الزراعة، جامعات، مدارس، طرق، خدمات صحية، مختلف الأشياء، وفي الضفة الغربية لا يوجد شيء تقريباً. تمكن الناس من العيش بفضل تحويلات من الخارج، أو بواسطة الشغل في أعمال تتسم بالدونية في إسرائيل، لكن إسرائيل لم تسمح بالتنمية، وذلك ما أثار صدمة الصحفيين الإسرائيليين، وهذا ما تؤكده الاحصاءات، أيضاً. أهم عمل في هذا الصدد، ما قامت به سارة روي، الباحثة في هارفرد، التي أنفقت قدراً كبيراً من الوقت في قطاع غزة. وإذا أردت تقديم نموذجين من أرقامها، في عام ١٩٩٣ كان استخدام الطاقة الكهربائية في غزة والضفة الغربية ثلثي كمية الاستخدام في مصر، ونصف كمية الاستخدام في الأردن. وهما بلدان فقيران. إسرائيل دولة غنية. كانت نسبة خدمات مرافق الصحة العامة والاسكان في الضفة الغربية وغزة ٢٥ بالمائة بالنسبة للفلسطينيين، و٥٠ بالمائة في مصر، و١٠٠ بالمائة في الأردن. انخفض نصيب الفرد من الناتج الإجمالي المحلي، وكذلك مستوى انفاق الفرد، ثم تردى إلى مستويات أسوأ. وبعد ١٩٩٣ أصبح الوضع أسوأ. لذلك انخفض نصيب الفرد من الناتج الإجمالي المحلي، كما انخفض انفاق الفرد بنسبة ١٥ بالمائة في الضفة الغربية وقطاع غزة، كما تقول. حدث هذا رغم المساعدات الأجنبية المتدفقة، الأوروبية في الغالب، على تلك المناطق.

تردى الوضع في جوانب أخرى. حتى عام ١٩٩٣، سمحت الولايات المتحدة وإسرائيل بدخول المساعدات الإنسانية إلى المناطق. سُمح بالمساعدات الإنسانية المقدمة من الأمم المتحدة، لكنها قيّدت بعد العام ١٩٩٣. هذا جزء من عملية السلام. بعد أو سلو فرضت ضرائب باهظة، وكثير من التقييدات الأخرى، أنواع مختلفة من التضييق. وقد أُغلق الباب أمام المساعدات الإنسانية في الوقت الحاضر. الأمم المتحدة تحتج، وهذا لا يهم. إذا كانت الأمم المتحدة تحتج بسبب اغلاق الباب في وجه المساعدات الإنسانية وهذا لا يلفت انتباه أحد، هنا، فالاحتجاج غير مهم. وهو لا يلفت الاهتمام، هنا، لأن أحداً لا يذكره في أجهزة الإعلام، ليقول إن إسرائيل تمنع المساعدات الإنسانية، وأن الناس يتضورون جوعاً. ولكن ما يهم طالما أن الناس في الولايات المتحدة لا يعرفون شيئاً عن هذا الأمر. يمكن أن يعرف الناس في الشرق الأوسط، في أوروبا. ذلك لا يغير الوضع.

بالنسبة لاهداف أو سلو، تم التعبير عنها بطريقة مهذبة من جانب شلومو بن عامي أحد

الحمام البارزين في إسرائيل، المعروف كحمامة أكاديمية، وهو الآن وزير الأمن في حكومة باراك، ووزير مؤقت للخارجية. في العام ١٩٩٨، أي قبل دخوله إلى الحكومة، وصف في كتاب أكاديمي أهداف أوسلو باعتبارها تفرض ما أسماه نوعاً من التبعية الكولونيالية الجديدة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

هذا الوصف صحيح إلى حد بعيد. ذلك ما استهدفته الولايات المتحدة من عملية السلام. بالنسبة للسكان من الصعوبة لتطيف وصف لموشي دايان قبل ٣٠ عاماً. كان في حزب العمل، بين قادة الحزب، وأحد المعروفين بتعاطفهم مع الفلسطينيين، وبواقعيته أيضاً. وصف ما ينبغي أن تكون عليه سياسة إسرائيل - والولايات المتحدة - قال على الفلسطينيين أن يعيشوا كالكلاب، ومن لا يعجبه يرحل، وسنرى نتيجة هذه العملية. وهي سياسة الولايات المتحدة، وسوف تستمر بهذه الطريقة طالما وافقنا على السماح لها بذلك.

ترجمة بتصرف لنص محاضرة تشومسكي في معهد مسوسيتش للتكنولوجيا (ديسمبر/كانون أول ٢٠٠٠).